شرح

كشف الشبهات

للعلامة

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي

(المتوفى: ١٢٠٦هـ)

(المجلس التَّاسِع عشر)

لِمعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء؛ أمِّلوا الخير من ربكم وأبشروا، فقد صليتم الفجر في جماعة في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكنت في ذمة الله وأمانه، ثم عكفتم علىٰ مجلس علم تتقربون به إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي ذلك خير عميم، وأجر كريم، فمن جلس مثل مجلسكم مخلصًا لله عَزَّ وَجَلَّ موعود بأن تتنزل عليه السكينة، وتغشاه الرحمة، وتحفه الملائكة، ويذكره الله فيمن عنده، وأن يؤوب من مجلسه بأجر حاج قد تم حجه، وأجر المجاهد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن ينصرف مغفورًا له، محققًا سؤله، معطىٰ رجائه، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتب لنا هذا، وأن يزيدنا من فضله أضعافًا أضعاف.

معاشر الفضلاء إن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق آدم وذريته لتحقيق التوحيد، ولا سيما توحيد العبادة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]، فخلق الله عَزَّ وَجَلَّ آدم عليه السلام من تراب، وأسكنه السماء، ثم شاء سبحانه أن يهبطه إلى الأرض لتحقيق الحكمة من خلقه وذريته؛ وهي توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعمر آدم عليه السلام وذريته الأرض بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان إبليس يوسوس لبني آدم ويسعى حثيثًا ليوقعهم في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى ظفر منهم بباب الغلو في الصالحين، ورجاء البركة منهم، فقادهم إلى وضع تماثيل لقوم ورجال صالحين رجاء تذكرهم والاجتهاد في الطاعة عند رؤية تماثيلهم.

ثم لما تنسخ العلم وسوس للناس أن آبائكم وأجدادكم إنما صوروا هذه الصور والتماثيل ليجعلوها وسيلة بينهم وبين الله ليتقربوا بها إلىٰ الله، فما صوّروها إلا ليعبدوها، وما عبدوها إلا لتقربهم إلىٰ الله زلفىٰ، فأوقعهم في الشرك، فأرسل الله الرسل عليهم السلام يدعون إلىٰ التوحيد، فالله عَزَّ وَجَلَّ بعث الرسل جميعًا بالدعوة إلىٰ التوحيد، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فخلق الناس من أجل التوحيد، وبعث الرسل من أجل التوحيد، فكان أعظم ما فرض على بني آدم أن يوحدوا ربهم، وأن يفردوا ربهم

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة، فلا عبادة إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، العبادة كلها صغيرها وكبيرها محض حق الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يجوز صرفها لأحد من دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لما دون ذلك أو لمن دون ذلك.

وصرف شيء من العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكان أعظم ما أمر به التوحيد، وكان أقبح ما نهي عنه الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله بالتوحيد فكان أول ما أمر به توحيد ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكان يأمر بالتوحيد في أوقاته كلها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يأمر بالتوحيد وهو في مكة، ويأمر بالتوحيد وهو في المدينة، ويحقق التوحيد، وعلم الصحابة رضوان الله عليهم التوحيد، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعية إلى التوحيد، وكان محققًا للتوحيد، وكان الصحابة رضوان الله عليهم دعاة للتوحيد، ومحققين للتوحيد رضوان الله عليهم.

وترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة على هذا، وقام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر العظيم والشرف الكريم، فحققوا التوحيد ودعوا إلى التوحيد، وملئوا الأرض دعوة إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكان التوحيد أعظم النعم وكان الشرك أكبر النقم، وإن من أخطر ما يكون على من ينتسب إلى الإسلام أن يهوّن شأن التوحيد في نظره وفي نفسه، وأن يأمن الشرك، وأنه لا يكون مشركًا، وإنما الشرك لغيره ممن لا ينتسب إلى الإسلام، فإنه إن هان التوحيد في نظره ونفسه وأمن الشرك يقع في الشرك وهو لا يدري، بل يشرك بالله وهو يظن أنه يحسن عملًا، وأنه يوحد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإذا وقع في الشِّرْكُ: فإنه لا يحدّث نفسه بترك هذا الشرك والبعد عنه، ومن هنا حرص الشيطان على أن يلقي على الناس شبهًا شيطانية يتبناها بعض الإنس تهون من شأن التوحيد في أنفسهم وتجعلهم يأمنون الوقوع في الشرك، فكانت هذه الشبه من أخطر ما يكون على دين الإنسان بل على الإنسان، والله إنها أخطر من الأمراض الفتاكة، وأخطر من النكبات العظيمة؛ لأنها خطر على دين الإنسان، ومن هنا تعلم بارك الله فيك أهمية أن يعلم الإنسان هذه الشبه وأن يعلم سقوطها وردها، وكيف يردها، ولا سيما في زماننا هذا الذي كثرت فيه وسائل التواصل، وصار كل من يريد أن يتكلم يتكلم بما شاء، فصار الناس يرون أناسًا معممين، وأناسًا يحملون الشهادات العليا، وغيرهم يفعلون الشرك الصرح، ويدعون إلى الشرك الصراح، ويقبحون التوحيد، ويقبحون الموحدين ودعاة التوحيد، ويسبون الموحدين، ويسبون دعاة التوحيد.

وحقيقة الأمر أنهم لو كانوا يعقلون أنهم يسبّون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسبّون صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن دعاة التَّوْحِيْدِ، إنما صاروا على طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل التوحيد إنما هم على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار الأمر خطرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا، فينبغي على المسلمين أن يشتد حرصهم على تعلم التوحيد، وعلى تعلم ما يضاده، وعلى معرفة الشبه الشيطانية التي ألقاها الشيطان في هذا السبيل وفي هذا الطَّرِيقِ.

وقد أحسن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أيما إحسان؛ حيث جمع أصول هذه الشبهات الشيطانية التي يرددها بعض الإنس في كُتيب صغير الحجم، غزير العلم، كبير الفائدة، يعود على دين الإنسان بالحفظ والصيانة، ويدفع وساوس الشيطان عنه، يتعلم به كيف يرد هذه الشبه عن قلبه، وكيف يردها عن غيره، ويتعلم به كيف يصون توحيده، هذا الكتاب الذي أسماه الشيخ على ما بيناه في طريقة اسمه في أول الكلام: "كشف الشبهات".

أسماه بفعله بهذا الاسم، وهو حقًا كشف للشبهات، وقد علمنا معاشر الفضلاء أن هذه الشبهات مهما تَنَوَّعَت وتعددت تعود إلى شبهتين:

أما إحداهما: فهي أن ما يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من صرف العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ كدعاء المقبورين، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، ليست كفعل المشركين الذين كانوا يشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ، وحاربهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بينا هذه الشبهة، وذكرنا صورها تبعًا للشيخ، وبينا الأجوبة العديدة عليها، وعلمنا علم اليقين أن ما يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من صرف العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ هو عينه ما كان يفعله عباد الأصنام، بل هو أقبح، بل هو أشنع، بل هو أشد اعتداء على حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على التوحيد، وقد بينا هذا بيانًا واضحًا شافيًا كافيًا تبعهًا للشيخ رحمه الله عَزَّ وَجَلَّ رحمة واسعة.

وأما الشبهة الثانية: فهي أن من أتى بالشهادتين لا يقع في الشرك مهما فعل ومهما قال، فما دام أنه ينطق بالشهادتين فإنه لا يكون مشركًا ولو عبد القبور، ولو دعا أهل القبور، وهذا لا شك أنه من أبطل الباطل، وقد ذكرنا صورًا من صور هذه الشبهة تبعًا للشيخ وبيناها، ثم بينا أوجه الرد عليها، وقد علمنا بالإجماع والدلة القطعية اليقينية أن هذه الشبهة باطلة ساقطة، وأن مجرد الإتيان بالشهادتين ليس عاصمًا من الوقوف في الكفر، وليس عاصمًا من تكفير من يأتي بمكفر، بل إن من يأتي بالشهادتين قد

يرتد عن دين الله، ويكون مرتدًا كافرًا وإن كان ينطق بالشهادتين، وقد أقمنا أدلة كثيرة على هذا الأمر، ولازلنا مع هذه الأدلة الدالة على هذه القضية الشرعية اليقينية، وهي أن المسلم قد يرتد عن الإسلام، إذا أتى بناقض ينقض إسلامه، فنواصل قراءة الأدلة التي سطرها هذا الإمام الطبيب الحاذق العلام المتفنن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ: وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

الشَّرح:

تأمل هذه الشبهة، وقد تقدمت بصورها، وهي أنهم يقولون لأهل التوحيد الذين يعظمون التوحيد ويقبحون الشرك وينهون عنه ويُبينون أن من يأتي بالشهادتين قد يقع في الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، فيكون مشركًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، خارجًا عن دين الإسلام، يقولون: إنكم تكفرون المسلمين، (تُكَفِّرُونَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن محمدًا رسول الله وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ)، والمعلوم أن أهل التوحيد لا يكفرون إلا من كفره الله عَزَّ وَجَلَّ، وكفره رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو أن هؤلاء القوم الذين أتوا بالشهادتين وصلوا وصاموا صانوا ذلك وحفظوه وحققوه لكانوا أولى بالإكرام، وكانوا أولى بالذب عنهم، لكن إن جاؤوا بناقض ينقض إسلامهم يرتدون به، كما دلت عليه الأدلة الماضية، فإن تكفيرهم ليس تكفيرًا لمسلم لم يأتي بمكفر، وإنما هو تكفير لمن كفر نفسه، وأتى بكفر قد نهي عنه، ودلت الأدلة بالكتاب والسنة على أنه كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الشبهة شبهة تردد كثيرًا اليوم فتأملها، ثم تأمل جوابها الذي تقدم، ومضمونه أننا لا نكفر مسلمًا، ونأبى أن يلحق التكفير بمسلم ظلمًا وعدوانًا وبهتانًا، ونحن أبعد الناس على الإيذاء في التكفير، وإنما نُبين الكفر بالأدلة ونُبين أن من فعل الكفر يصبح كافرًا مستحقًا للتكفير، فإن انتفت الموانع ألحق التكفير به بعينه، وخرج بذلك عن دين الإسلام، وقد تقدم الجواب منقحًا موضحًا مبينًا بما يدفع كل ريب وكل شك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ - أَيْضًا-: مَا حَكَىٰ اللهُ عز وجل عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ-: أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: "يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ"، فَحَلَفَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

الشَّرح:

لازال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يورد الأدلة القطعية الدالة على بطلان شبهة أن الإتيان بالشهادتين مانع من لحوق الكفر بمن أتى بهما مهما فعل، ولو أتى بمناقض للتوحيد، ولو فعل كفرًا، ولو عبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويُبين الأدلة على أن المقطوع به شرعًا أن من أتى بناقض للتوحيد ينتقض توحيده، ويكون كافرًا، ولا يكون مجرد نطقه بالشهادتين مانعًا من تكفيره، بل قد يرتد مع نطقه بالشهادتين، فمن الأدلة على ذلك: هذا الدليل الذي أورده الشيخ وهو أن بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى عليه السلام فكانوا مؤمنين، وكانوا مع نبيًا من أنبياء الله، من أولي العزم من الرسل، وكانوا بالنسبة لغيرهم من أهل زمانهم أهل صلاح وعلم، هؤلاء القوم لما مروا على قوم يعكفون على أصنام يعبدونها، ويتبركون بها، قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا من الأصنام نعبده ونتقرب إليه ونتبرك به كما لهم آلهة.

وقد جاء عن بعض السلف أن أولئك القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، ويتبركون بها كانوا يصنعون تماثيل للأبقار والعجول، فلما رأوا ذلك منهم، أعني بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا، اجعل لنا مثالًا، اجعل لنا تمثالًا كتماثيلهم هذه نتقرب بها إلى الله ونجعلها واسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، تجهلون حق ربكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن العبادة لا تنبغي إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد ابتغاه إلهًا من غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمقصود من إيراد هذا الدليل: أن إيمانهم لمن يمنع أن طلبهم هذا من نبيهم عليه السلام اتخاذ للآلهة من دون الله، أي أنهم طلبوا اتخاذ آلهة من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه من صنيع أهل الجاهلية، فلو

كان الإيمان دافعًا للشرك بحيث لو طلب الإنسان الشرك لا يكون جاهلًا ولا يكون طالبًا اتخاذًا إلهًا كان لذلك مانعًا هنا.

ولما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ولا بين لهم أن هذا من ابتغاء الآلهة من دون الله عَزَّ وَجَلَّ فزجرهم ونهاهم عن هذا الطلب، فدلّ ذلك على أنهم لو فعلوه لكانوا كفارًا، وكانوا ابتغوا إلهًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، ومثل هذه القصة التي حدثت في بني إسرائيل وهم مع موسى عليه السلام مع ما حدث في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوم كانوا حديث عهد بكفر، حيث أسلموا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان في آخر رمضان أو في أول شوال، ثم خرجوا معه إلى حنين في شوال، فكان الوقت قريبًا، فوقع ما جاء عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر"، لا يعني أن كل الذين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاء عهد بكفر، وإنما يعني من أسلموا في عام الفتح؛ حيث أسلموا كما قلنا: في آخر رمضان أو في أول شوال.

وكان خروجهم إلى حُنين في شوال، فهؤلاء كانوا حديث عهد بكفر، قال: **"وللمشركين سدرة يعكفون عندها يناطون بها لأسلحتهم، يقال لهم: ذات أنواط"**، كانت هناك سدرة كبيرة خضراء ظليلة، فكان الكفار يتخذون هذه السدرة يعكفون عندها يرجون بركتها ويعتقدون أنها تبارك بذاتها، ولذلك يعلقون أسلحتهم بها لتنتقل البركة من الشجرة إلى الأسلحة، لينتصروا على أعدائهم، وهذا شرط أكبر، لأنهم يعتقدون أن السدرة والشجرة تبارك بذاتها، قال: **"فمررنا بسدرة"**، الأظهر والله أعلم أنها هي نفس السدرة التي كان المشركون يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، قال: "فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"، يعني اجعل لنا هذه السدرة ذات أنواط نعلق بها أسلحتنا لتتبارك من هذه الشَّجَرَةَ.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنَ»، **قُلْت:** والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبنّ سُنن أو سَنَن، كلاهما صحيح، من كان قبلكم.

هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى، وابن حبان، وصححه الترمذي، وابن حبان والألباني وابن باز، وقال الإمام ابن القيم: إنه حديث ثابت، فدل هذا الحديث على أن من جعل شيئًا يلتمس منه البركة بذاته قد جعله إلهًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذين يجعلون القبور يلتمسون منها البركة ويلبون من أصحابها الرزق والولد والغوث قد جعلوها آلهة من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمجرد أنهم طلبوا ولم يفعلوا، بمجرد أنهم طلبوا ولم يفعلوا أغلظ عليهم، وجعل هذا الطلب كأنهم يطلبون أن يجعلوا إلهًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فطلبوا هذا من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنهم لم يفعلوه.

❍ والمقصود من إيراد هذا الدليل أمران:

⇚ الأمر الأول: أن من اتخذ مخلوقًا يتبرك به ويعتقد أنه يبارك بذاته، وأن البركة تكون من ذاته يكون قد جعله إلهًا بنص القرآن ونص حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جعله إلهًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ لا شك أنه كفر بذلك.

⇚ والأمر الثاني: المراد أن الإيمان والنطق بالشهادتين لا يمنع من أن يكون فعل من نطق بالشهادتين إذا كان مخالفًا لشرع الله موافقًا لشأن المشركين أن يكون حكمه حكمهم، وهذا هو المطلوب.

⇚ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: "اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ"؛ لَمْ يَكْفُرُوا.

✍ الشَّرح:

هذه يا إخوة شُبهة، وفي نفس الوقت رد للدليل الذي أورده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقالوا: إن بني إسرائيل الذين قالوا تلك المقولة لم يكفروا، بدليل أنهم لم يؤمروا بالدخول في الإيمان بعد أن قالوا تلك المقولة، وكذلك الصحابة الذين قالوا تلك المقولة لم يكفروا، بدليل أن النبي صلى الله عليه لمي أمرهم بتجديد إسلامهم، والإتيان بالشهادتين، فبطل استدلالكم بهذا الدليل، وكان هذا الدليل منقلبًا

عليكم، هذه الشبهة، لأنه يدل على ما نقوله: أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أو فِعْلُ، **ويُجاب عن هذه الشبهة وهذا الرد للدليل بأجوبة بينها الشيخ فقال:**

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم لَمْ يَفْعَلُوا.

الشَّرح:

هذا الجواب الأول: أن بني إسرائيل وكذلك الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكفروا لأنهم لم يفعلوا، وإنما طلبوا من رسولهم أن يجعل لهم ذلك، فزجرهم عنه، فلم يكن عدم كفرهم لكونهم مؤمنين من قبل، مع وقوعهم في الكفر، وإنما لأنهم لم يفعلوا ما يكفرون به، لكن طلبهم كان طلبًا من فعل أهل الجهل، ومن فعل المشركين، فهذا الذي أثبتناه وذكرناه أنهم مع كونهم مؤمنين عندما فعلوا ما يفعله المشركون وهو الطلب وليس الفعل، كان شأنهم كشأن المشركين، لكنهم لم يفعلوا ما يكفروا به فلم يكفروا، ولو فعلوا لكفروا كما يأتي في الجواب الثاني.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا.

الشَّرح:

هذا الجواب الثاني: وهو أن نقول: إنهم لو فعلوا ما طلبوه بعد نهي نبيهم وزجره لهم عن ذلك أنهم يكفرون بالإجماع، فإنهم يكونون قد فعلوا الكفر عن علم، يا إخوة لو أن بني إسرائيل لما زجرهم موسى عليه السلام عن هذا، وبين لهم أنه من ابتغاء الآلهة من دون الله عصوه، واتخذوا آلهة، اتخذوا صنمًا، فإنهم يكفرون بالإجماع، لأنهم فعلوا الكفر مع العلم، فدل هذا على ما نقوله: أن الإيمان لا يمنع من الردة، ولا يمنع من كفر من أتى به إن أتى بمكفر، كذلك الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو أنهم بعد أن نهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذوا ذات انواط، فإنهم يكفرون بهذا بالإجماع، لأنهم فعلوا الكفر عن علم.

ويمكن أن نجيب جوابًا ثالثًا: وهو ما يشير إليه الشيخ لاحقًا وننبه عليه، فنقول: لو سلمنا لكم جدلًا أنهم فعلوا ما يكفرون به، وهو طلبهم هذا، فإنا لا نسلم لكم أن مانع تكفيرهم هو تقدم إيمانهم، وإنما مانع تكفيرهم جهلهم، ولهذا زجرهم نبيهم عليه السلام فورًا فانزجروا فورًا، ولو أنهم لم ينزجروا لكفروا، وهكذا نقول نحن: إنه ليس كل جهل مانعًا من التكفير كما تقدم معنا، لكن لو كان الجهل في حال العذر فإنه يجب تعليم هؤلاء الجهال فورًا، فإن انزجروا فور التعليم لم يكفروا، ولا يمنع ذلك التغليظ عليهم، وإن لم ينزجروا بعد التعليم فإنهم يكفرون، والمقصود أن مجرد الإتيان بالشهادتين ليس مانعًا من التكفير، بل لو أنهم أتوا بالمكفر مع العلم فإنهم يكفرون بالإجماع ولو كانوا ينطقون الشهادتين.

من عُلم أن دعاء غير الله كفر، وأقيمت عليه الحجة، ثم ذهب عند قبر كما نرى من بعضهم، وأخذ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا صاحب القبر، يا صاحب السر ارزقني، اغثني، المدد، المدد، فإنه يكفر بالإجماع، وإذا تمحض الجهل في حقه وكان في حاله عذرًا فإنه يجب على من علم بحاله أن يعلمه فورًا، فإن علمه فورًا فانزجر لا يكفر، ويكون جهله عذرًا في تكفيره وليس تقدم الشهادتين، وإن لم ينزجر فعد تعليمه؛ فإنه يكفر بهذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

الشَّرح:

(وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ)، المقصود المطلوب إثبات أن من أتى بالشهادتين ثم أتى بمكفر وانتفت الموانع عن تكفيره أنه يكفر، ويصبح كافرًا، وليس مجرد النطق بالشهادتين مانعًا من تكفيره.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ: أَنَّ المُسْلِمَ - بَلِ العَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا.

الشَّرح:

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فوائد عظيمة تتعلق بالتوحيد من قصة هؤلاء الصحابة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر الفائدة الأولى، والمقصود منها يا إخوة أن الإسلام بل الفضل في الإسلام وقوة الإيمان لا يمنع من الزلل والوقوع في الخطأ والوقوع في الشرك، بل إن المسلم بل إن الفاضل من

المسلمين إذا زل في أمر عظيم يغلظ عليه، ومن ذلك: أنه فقد يقع في نوع من الشرك، أو أنواع من الشرك وهو لا يدري، فينبغي لمن يدري أن يغلظ عليه، وأن يزجره زجرًا بليغًا، وذلك يقتضي أن يحرص المسلم على تعلم التوحيد، وتكرار ذلك، وألا يملّ من ذلك.

- **المؤمن يحب التَّوْحِيْدِ.**
- **ويحب أن يسمع التَّوْحِيْدِ.**
- **ويحب أن يتعلم التَّوْحِيْدِ.**
- **ويحب أن يكرر التوحيد علىٰ مسامعه.**

ويقتضي أيضًا أن يحرص العالم على تعليم الناس التوحيد، وعلى تكرار ذلك بلا ملل ولا كلل، وأن يتحرز المسلم عن الشرك وأن يحذر الشرك حذرًا كبيرًا دائمًا، فإن القصة تفيد أن الجهل بالتوحيد يقود إلى الوقوع في الشرك، أو إلى طلب ما قد يكون شركًا وهو لا يدري، فإن هؤلاء لما كانوا حديث عهد بكفر كانوا حديث عهد بجاهلية طلبوا ذلك، فالمطلوب من المؤمن أن يبتعد عن الجهل بالتوحيد بعدًا عظيمًا، وأن يعرف التوحيد على وجه التفصيل، وأن يعرف الشرك على وجه التفصيل ليتحرز منه، وأن يكون حذرًا دائمًا من الوقوع في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الفائدة الثانية الذي قال فيها الشيخ:

⤺ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ.

✍ الشَّرح:

يعني أن الفائدة الأولى تجر إلى الفائدة الثانية من القصة، فإذا علمت يرعاك الله أن المسلم بل الفاضل في الإسلام قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري أنها شرك، بسبب جهله بها، فإن ذلك يقودك إلى الأمرين:

الأمر الأول: أن تحرص على أن تتعلم التوحيد، وأن تكرر ذلك، ولذلك يقول العلماء: من العلم الذي لا يوقف فيه عند حد التوحيد، فإنك تتعلم التوحيد، ثم ترجع إلى التوحيد مرة أخرى، ثم ترجع إلى التوحيد مرة أخرى إلى أن تموت، وأنت على هذا الحرص، ويفيدك ذلك التحرز والحذر الشديد من الشرك كما بيناه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

الشَّرح:

هذه الفائدة الثالثة من هذه القصة: وهي أن قول بعض الناس: التوحيد أمره سهل، ويمكن أن يتعلم في عشر دقائق، ونحن قد فهمنا التوحيد وحققناه، والناس موحدون، فلا تشغلوا الناس بدروس التوحيد، واهتموا بالعلوم الأخرى، أن هذه المقولة وهذا القول قول باطل، ويقود إلى شر عظيم، بل هذا القول بحد ذاته جهل، يقتضي منا أن نعتني عناية عظيمة بالتوحيد، وكان بعض من كانوا مع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ استكثروا من الشيخ كثرة الكلام في التوحيد، وكثرة الكتابة بالتوحيد، وقالوا: التوحيد قد فهمناه نريد علومًا أخرى، ونريد أن ننقل إلى علوم أخرى، فنبه الشيخ على هذه الفائدة، لا و شك أن هذا القول جهل بشأن التوحيد في الكتاب والسنة، وفي سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالقرآن لو استعرضته من أوله إلى آخره تجده في التوحيد، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مليئة بالتوحيد، وسيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معطرة بالعناية بالتوحيد.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى التوحيد، وحقق التوحيد، وخاف الشرك من أول يوم بعث فيه إلى آخر لحظة من لحظات حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الجملة الفاسدة التي أصبحنا نسمعها كثيرًا في وسائل التواصل الاجتماعي يقولها أصناف:

⊙ صِنفٌ طيبون، لكنهم مستغفلون، لا يدركون الحقيقة ويغشهم المخالفون بالتوحيد، وهؤلاء ينبغي عليهم أن يتنبهوا.

⊙ وصِنفٌ لا يريدون تعليم التوحيد، ولا يريدون ظهور دروس التوحيد لتروج شرورهم وبواقعهم على الناس، فهم لن يصدقهم الناس ما دام التوحيد ظاهرًا، وما دامت دروس التوحيد قائمة، عندما يأتي أحدهم ويقف على المنبر ثم يبرق بعيونه ويظهر للناس أن الملائكة حضرت له، والمساكين الجهلة بالتوحيد يتصايحون: الله أكبر، لو كان التوحيد قائمًا وكانت دروس التوحيد قائمة لأدرك الناس أن هذا دجل، وأن هؤلاء القوم إنما يريدون أن يعبدهم أولئك الناس، وأن يعظمهم أولئك الناس، لو كانت دروس التوحيد قائمة لأدرك الناس أن طلب البركة ببصاق المشايخ ونحو ذلك دجل، ومخالفة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ ولا ما صدقوا هذا، ولا ما وقعوا في هذه الحبائل.

ولذلك أولئك الشياطين لا يريدون لدروس التوحيد أن تقوم، ولا للناس أن يقبلوا على أهل التوحيد وعلى دروس التوحيد، ويوهمون المساكين أن دروس التوحيد خطر، وأن أهل التوحيد خطر حتى أن بعضهم إذا جاء الحجاج والزوار يقولون لهم: لا تجلسوا في حلق شيوخ الحرمين، ولا تستمتعوا.

بل يقولون لهم: لو مررتم بالحلقة فضعوا أصابعكم في أذانكم، ومروا سراعًا، هؤلاء الدجالون الذين يستغفلون المساكين الجهلة، لا يريدون لدروس التوحيد أن تقوم، ولذلك يقولون هذه المقولة ليهونوا من شأن التوحيد، لا يريدون للناس أن يعرفوا التوحيد تفصيلًا، وإنما يريدون أن يقول الناس التوحيد عظيم، لكن ما هو التوحيد؟ ما الذي ينقضه؟ لا يريدون للناس أن يتعلموا ذلك.

وصنف ثالث كثروا في زماننا لا كثرهم الله يريدون أن يكون تعليم التوحيد تعليمًا إجماليًا، لا تفصيليًا، وذلك ليشتغل الناس بالسياسة، وبما يمسونه فقه الواقع، فالتوحيد عندهم تعليمه ليس مقصودًا، وإنما هو وسيلة لاصطياد الناس، ليشتغل الناس بالسياسة على الوجه المخالف لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى أنهم أرادوا ان يجعلوا التوحيد الذي يهتم به هو ما يتعلق بالسياسة، ويتعلق بتكفير الأحكام، فصاروا يلقون على المساكين العامة وعلى من يصدقهم أن التوحيد الطعن في الحكام، وتكفير الحكام، وصاروا يرددون أن شرك القبور صار معروفًا، وإنما الذي ينبغي أن نهتم به شرك القصور، ويتجاهلون ما يقع فيه الناس عند القبور، من عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل هم يقعون في شرك القبور، ويدعون الناس إلى شرك القبور، ونرى بعض دعاتهم وهو يتمسح ببعض من يسمون بالصالحين ويأخذ بصاقهم ويمسحه على وجهه، وغير ذلك من الشركيات، سواء الشرك الأصغر أو الأكبر.

فهؤلاء القوم إنما مرادهم كراسي الحكم، لا تحكيم شرع الله ولا تحقيق دين الله، وهم يعلمون أنهم لن يروج فكرهم ولن يحققوا مرادهم ما دام علم التوحيد على وجه التفصيل قائمًا، وما دام دروس التوحيد قائمة، ولذلك يحرصون على التهوين من شأن التوحيد، وأنه لا يحتاج إلى التفصيل، عشر دقائق وننتهي من التوحيد، وعلى صرف الناس عن التوحيد الذي في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان السلف يدعون إليه إلى أمور أخرى، فالشاهد معاشر الفضلاء: أنه يجب علينا أن ننتبه لهذه المقول الفاسدة التي في التهوين من شأن التوحيد، والدعوة إلى ترك دراسته على

وجه التفصيل، وأن نقف في وجهها، وفي وجه أهلها بتعليم التوحيد على وجه التفصيل، وأن نتعاضد على ذلك.

وإذا وقعنا بيننا خلاف في مسألة تفصيلية فينبغي أن نتناصح، وأن يُبين كل واحد منا ما عنده، فقد يقع الخلاف بين دعاة التوحيد في مسألة ليست في أصل التوحيد، يقول فيها بعضهم بقول بعض المشايخ بناء على بعض الأدلة، ويقول فيها بعضهم بقول بعض المشايخ بناء على بعض الأدلة، فلا ينبغي أن يتحاربوا من أجل هذا، وإنما عليهم أن يتناصحوا، وأن يفهم بعضهم كلام بعض، وأن يتقي أحدهم ربه أن ينسب إلى أخيه ما لم يقل، بل ما يصرح بخلافه، وما يعلم من حاله خلافه، وألا يكون أبله يجتزئ له كلام فيندفع ليعلق على ذلك الكلام، فإن الكلام مجتزئ وإن كان بصوت قائله إلا أن له سابقًا وله لاحقًا، أن يبتعد عن ذلك، وقد كان مثل هذا يقع بين المشايخ أهل السنة في الزمن القريب منا، فما كان أحدهم يعتدي على الآخر.

ومن ذلك مثلًا مسألة الْعُذْر بالجهل بالتوحيد، كان الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يقرّر العذر ويكرّره ويستغرب ممن لا يقول بالعذر، ويرد ذلك، ولم يقله مرة، بل كان عليه طوال حياته، وقد سألته عن ذلك في آخر زيارة زار فيها المدينة فأجابني بنفس كلامه، وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يرى عدم العذر، لكن ما كان المشايخ الذين يرون عدم العذر يرمون الشيخ ابن عثيمين بالأوصاف القبيحة، أو أنه مرجئ وحاشاه أو نحو ذلك، وما كان الشيخ ابن عثيمين يرمي من يخالفه بألفاظ قبيحة، لكن كل يقرر ما يراه على وفق الدليل، وهكذا ينبغي أن يكون أهل التوحيد؛ أن يسيروا على هذا الطريق الذي هو طريق السلف، وطريق من يسيرون على طريق السلف.

يا إخوة أهل الباطل أهل الشركيات أهل الحزبيات أهل مخالفة أصول أهل السنة يتأزرون اليوم، ويتعاضدون وينشرون باطلهم نشرًا عظيمًا، فلا يليق بمن ينتسب إلى التوحيد ومن ينتسب إلى السنة أن يكون قاطع طريق، وأن يكون ناهيًا عن الأخذ عن إخوانه الذين يدعون إلى التوحيد، ويقررون ويكررونه، ويلهجون به دائمًا لمجرد أنه خالفهم في مسألة، هذا الواجب علينا أن نعلم التوحيد ونكرر تعليم التوحيد، وأن نتعلم التوحيد ونكرر تعلم التوحيد، وأن نتعاضد نحن أهل التوحيد، ونتناصح فيما بيننا.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدينا جميعًا إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، دعاة إلى التوحيد والسنة، كاسرين لدعوة الشرك والبدع والحزبيات التي لا تجر على الناس إلا شرًا، وضرًا، وباطلًا، لعلنا نقف عند هذه النقطة لأن الفائدة التالية فائدة نفيسة، ينبغي أن نقف معها وقفة، فنفتتح بها إن شاء الله المجلس في الأسبوع القادم.

الأسئلة:

السؤال: يقول: امرأة قامت علىٰ أذان الفجر في رمضان ووجدت نفسها في عطش فأسرعت إلىٰ الماء وشربت قبل انتهاء الأذان، فما حكم ذلك؟

الجواب: إن كانت تعلم أن المؤذن يؤذن على الوقت، وقد علمت أنه أذن فشربت بعد أذانه، أعني بعد بدأ أذانه ولو بلحظة فإن صومها لا يصح، أما إن كانت تعلم أن المؤذن يؤذن قبل الوقت، فإن بعض المؤذنين في بعض بلدان المسلمين يؤذنون للفجر قبل الوقت، لا و سيما إذا كان ذلك مظنة الصوم من باب الاحتياط للإمساك، نجد أن بعض المسلمين في بعض البلدان يضعون إمساكية ويكتبون وقت الإمساك، ويجعلونه قبل الفجر قبل الأذان بخمس دقائق أو عشر دَقائِقَ.

وبعض المؤذنين يؤذن عند هذا الوقت الذي يسمى وقت الإمساك، وهذا بدعة، فالمسلم له أن يأكل ويشرب إلى أن يدخل الفجر، ويطلع الفجر، فإن كانت تعلم أن هذا المؤذن يقدم الأذان قبل الوقت فشربت عند أذانه فلا حرج عليها، وصومها صحيح، أما إذا لم تعلم أنه قد أذن، واستيقظت ولم تعلم أن الفجر قد دخل، ولم تفرط فذهبت وشربت ماءً، ثم وهي تشرب سمعت المؤذن يقول: حي على الصلاة، فإن صومها صحيح، ولا حرج عليها.

السؤال: يقول: ما حكم التجارة الإلكترونية بشراء سلع عبر المواقع الأجنبية، مع العلم بأن هذه الشركات تتعامل مع بنوك ربوية؟

الجواب: التجارة الإلكترونية حكمها حكم التجارة المباشرة، إن كان فيه محظور شرعي فهي محرمة، وإن كانت الشروط الشرعية متوافرة فيها ولا محظور من المحظورات الشرعية فيها، فإنها مباحة، هذا الضابط الكلي، ويطبق على كل صورة بحسبها، نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ على التمام، ونسأله سبحانه القبول، ونسأله أن يفقهنا في دينه.

هذا، واللهُ تَعَالىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.